مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / جامعة وهران02/ المجلد 13ع 02.
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

المضمرات الثّقافية في الأمثال الشّعبية الجزائريّة المنشورة على منصّة تويتر

Cultural Implications in Algerian Folk Proverbs Published on Twitter Platform

إيمان عليلي Imane Alili * Alili.imane@univ-guelma.dz	أدب جزائري	مخبر الدراسات اللغوية والأدبية جامعة 08 ماي 1945 قالمة/ الجزائر
نادية موات Nadia Mouats Mouats.nadia@univ-guelma.dz	لغة وأدب عربي	مخبر الدراسات اللغوية والأدبية جامعة 08 ماي 1945 قالمة/ الجزائر
ORCID:/		

DOI : 10.46315/1714-013-002-026

الإرسال: 2024/02/26 **القبول**: 2420/05/20 **النشر**: 2420/06/16

**

ملخص:

تميّزت الألفية الأخيرة من هذا القرن بقفزة نوعية هائلة في عالم التكنولوجيا، انتهت بتفجير ثورة معلوماتية مسّت مختلف جوانب الحياة، ولعلّ أبرز ما يميّزها هو ترجمة الذّهنيات الفكرية في شكل أمثال شعبيّة تداولها الأفراد عبر مختلف منصّات التواصل الاجتماعي، في قوالب فنيّة رقميّة تدفع بالإنسان إلى التفاعل معها ونشرها كوسيلة للتعبير عمّا يخالجه من آراء وأفكار ومشاغل يوميّة؛ فالأمثال الشّعبية تعدّ أحد مكونات الثّقافة الشعبيّة الّتي تعكس بدورها طبيعة تفكير الشّعوب وما تحمله من آراء وأفكار ومعتقدات، ونظرتهم للحياة، وتتضمن أنساقاً متباينة تعري العيوب النّسقية للمجتمع وللكشف عن المضمر الثّقافي المتواري خلف الجماليّة البلاغيّة. وعليه تأتي دراستنا هذه من أجل النّظر في الموروث الشّعبي من زاوية النّقد الثقافي من خلال مادّة الأمثال الشّعبية المنشورة على منصة تويتر.

كلمات مفتاحية: المضمر؛ الأمثال الشعبية الجزائرية ؛ تويتر؛ الثّقافة ؛ المنشور الرّقمي.

Abstract:

The last millennium was distinguished by a remarkable qualitative leap in the world of technology, culminating in an explosion of an informational revolution that affected various aspects of life. Perhaps the most distinctive aspect of this revolution is the translation of creative mentalities into popular proverbs that individuals circulated thought various social media platforms, in digital artistic formats that incite interaction and diffusion as a means of expressing their opinions, thoughts, and daily concerns. Popular proverbs are considered one of the components of popular culture that expose the nature of people's thinking, their opinions, ideas, beliefs, and their perception on life. They embrace various patterns that display the fundamental flaws accordingly, the main aim of our study is to explore the popular heritage on Twitter from the perspective of cultural criticism through the substance of popular proverbs published on the platform.

Keywords : Implications; Algerian popular proverbs; Twitter; culture; digital publication.

**

* - الباحث المُرسل: alili.imane@univ-guelma.dz

1- مقدمة:

شهد العالم في السّنوات الأخيرة نقلة نوعيّة، وتطورا رهيبا في عالم الاتصال والمعلومات بعد أنّ كانت في الزّمن السابق منحصرة في وسائل محدودة وبدائيّة، حيث أحدثت هذه الأخيرة تغييرات جذرية وعميقة على مختلف جوانب الحياة البشرية الاجتماعية والثقافية والسياسية، فتغيّرت المفاهيم وتطورت الأدوات، وأصبح العالم مجرد قرية كونية صغيرة تحكمه برامج وتطبيقات اتصالية جديدة أو ما يصطلح عليها بشبكات التواصل الاجتماعي كالفايسبوك والإنستغرام والتويتر(x)... وغيرها، الأمر الّذي جعل من أفراد المجتمع يعيشون في ظل الواقع الافتراضي؛ إذْ سيطر على أغلب اهتماماتهم حيث أصبحت شاشات الهواتف والحواسيب أغلى ما يملكه الإنسان لا يستطيع صاحبها الاستغناء أو الابتعاد عنها أكثر من أربع دقائق، إذْ أصبحت المحفظة المالية والهويّة والذكريات والأسرار والحياة الافتراضية التي تسمح بكل شيء محطّمة بذلك الأعراف والعادات والتقاليد والتعاليم الدينية والاجتماعية. وفي خضم هذه التطورات والتحولات وما يصاحبها من أنظمة العولمة التي باتت تشكل تهديدا كبيرا على المقومات والخصوصيات الثقافية المميزة للشعوب التي أضحت عاجزة لا تقوى على الدفاع عن هويتها وملامحها المميّزة، إذْ أصبحت الأجيال مهددة بفقدان وزوال ذاكرتها الشعبية، أين مارست هذه الأخيرة سلطتها ومختلف تأثيراتها على كل ما يشكل خصوصية المجتمع وهويته. والجدير بالذكر أنّ الهويّة تتجلى في العديد من الأشكال التعبيرية، ومن بينها الأشكال الشعبيّة كالألغاز والحكايات والأمثال الشعبيّة، الّتي غدت سلاحاً ذا حدين؛ فهي ممتعة ومسلّية، وشكلاً من أشكال التّواصل بين الأفراد والمجتمعات؛ وفي الوقت ذاته تحمل في مضامينها أنساقاً ذات أبعاد اجتماعية وثقافية، ودينية وتربوية وتعليمية. ونتيجة للإقبال الهائل الّذي شهدته مواقع التواصل الاجتماعي بين الناس نجد سيلا جارفا من المنشورات الرقمية المختلفة الّتي ترصد تفاصيل وحيثيات المجتمع الجزائري مصاغة في قوالب فنية تفاعليّة لعلّ من أبرزها الأمثال الشعبية الّتي تعدّ موروثاً ثقافياً وحضارياً يعكس طبيعة الشعوب وما تحمله من آراء ومعتقدات، تعيدنا إلى زمن مختلف بمظاهره الحياتية البسيطة وثقافة المنتمين إليه بأنساقهم المختلفة ونظرتهم للحياة الّتي تسيطر عليها أنساق متباينة تكشف عقلية المجتمع الجزائري. ولما كانت الأمثال الشعبية الجزائريّة المنشورة على مواقع التواصل الاجتماعي تشكل ظاهرة ملفتة للنظر تستحق الدراسة؛ كونها تعبير صادق عن الخصوصية الثقافيّة للمجتمع الجزائري والّتي تقودنا إلى اكتشاف المضمر الثقافي داخل بنية المجتمع، وفي هذه النقطة بالذات تتجلى أهمية معالجة الأمثال الشعبية كموروث شعبي شفهي في الفضاء الافتراضي الّذي يمنحها صيغة رقمية تفاعلية جديدة. ولهذا جاءت هذه الدراسة لتسهم في تقصي واقع هذه

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

الظّاهرة الّتي تعدّ من بين أهم المواضيع الحساسة في عصرنا الحالي، وذلك من خلال الأمثال الشعبية المنشورة على منصة التويتر(x). وعليه نطرح الإشكالية التالية:

- ما الأنساق الثقافية المضمرة التي تضمنتها الأمثال الشعبيّة المنشورة على منصة تويتر؟ وكيف أثبتت هذه الأنساق وجودها؟ وهل ترجمت هذه الأنساق طبيعة الشعب الجزائري ونظرته للعالم؟ وهل أثرت هذه الأنساق على خطاباتنا وسلوكياتنا أم لا؟

تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك للإلمام بمختلف المفاهيم المرتبطة بمتغيرات الدراسة، بالإضافة إلى استراتيجية النقد الثقافي، لرصد وكشف الأنساق المضمرة التي تضمنتها الأمثال الشعبية المنشورة على منصة التويتر

وقبل الولوج في عوالم الأمثال الشعبية المنشورة على منصة تويتر والغوص في تفاصيلها واستنباط الأنساق المضمرة وجب الوقوف عند أبرز المفاهيم وشرحها فيما يلي:

1.1مفهوم الأمثال الشعبية:

المثل لغة: ورد ذكرها في لسان العرب لابن منظور في مادة (م ث ل) قوله: "المثل الحديث نفسه، والمثل: الشيء الذي يضرب مثلا فيجعل مثله"(ابن منظور، د.ت، ص610).

ومن خلال المفاهيم السابقة التي تجمع على أن مادة (م ث ل) تعني الشبيه والنظير والعبرة والآية، وأصل المثل في اللغة هو المشابهة والمماثلة. أما في **الاصطلاح** فقد تعددت المفاهيم والتعريفات من قبل العلماء والدراسين في القديم والحديث، إلا أننا سنقتصر على بعض منها فقد عرفه السيوطي بقوله: "حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حجتها في المنطق بكناية غير تصريح، فيجتمع لها ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه"؛(السيوطي، د.ت، ص486-487) فالمثل هو خلاصة تجارب الشعوب الماضية، بأسلوب غير مباشر مع الإيجاز في اللفظ وسهولة في المعنى. وقد عرفه أيضا المرزوقي في شرح الفصيح بقوله: "المثل: جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول؛ فتنقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني؛ فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها "؛ (شعلان، 1972، ص15-16).فالمرزوقي يشير هنا إلى أن مورد المثل ومضربه متشابهين بين الموقفين بالإضافة إلى أن المثل يحافظ على بنته اللفظية على مر الزمان. أما عند المحدثين الذين تعرضوا للمثل، وحاولوا تعريفه ومن بينهم نجد: رشدي صالح الذي يُعرّفه بقوله: "هو الأسلوب البلاغي القصير الذائع بالرواية الشفاهية، المبين لقاعدة الذوق أو السلوك أو الرأي الشعبي، ولا ضرورة لأن تكون عباراته تامة التركيب، بحيث يمكن أن نطوي في رحابه التشبيهات

والاستعارات والكنايات التقليدية"؛ (أمين، د.ت، ص60-61).فالمثل حسب رأيه لا يخرج من دائرة البلاغة، وطبيعته شفاهية، منقول على ألسنة الناس عبر الزمان.

ومن خلال ما تقدم من مفاهيم يمكن القول إنّ الأمثال عبارة عن خطابات مكثفة وموجزة تعبر عن وعي الجماعة، تختزل تجارب الأجداد لمجتمع ما، وتضرب في مواقف معينة، ويتم تداولها بصيغتها الأولى للتعبير عن التجارب المماثلة.

2.1 النشر الإلكتروني:

والمقصود بالنشر الإلكتروني أو الرقمي هو استخدام كلّ ما يتعلّق بالحواسيب في تغيير مضمون ومحتوى المنشور من الطريقة العادية التقليدية إلى طريقة رقمية ابداعية للنشر عبر الأنترنيت وفي هذا الصدد نجد أبا بكر محمود الهوش الذي يعرّفه بقوله: "إن النشر الإلكتروني هو الاعتماد على التقنيات الحديثة وتقنيات الاتصالات بعيدة المدى في جميع الخطوات التي تنطوي عليها عمليات النشر" (الهوش، 2000، ص152).

وأخيرا يمكننا القول إنّ النشر الإلكتروني هو استخدام الحواسيب ومعداتها لنشر وطباعة المعلومات والمعارف في حاويات وأوعية رقمية غير تقليدية لمواكبة التطورات المختلفة في تكنولوجيا المعلومات والاتصال التي نعيش في خضمها.

3.1 منصة التويتر:

هي عبارة عن موقع من مواقع التواصل الاجتماعي يستخدمه الملايين من الناس حول العالم، توفر خدمة التدوين المصغر، كانت بدايات ميلاد هذه الخدمة المصغرة تويتر أوائل عام 2006، وأخذ اسمه من مصطلح تويت الذي يعني التغريد واتخذ من العصفور رمزاً له، وهو خدمة مصغرة تسمح للمغردين بإرسال رسائل نصية قصيرة لا تتعدى 140حرفا للرسالة الواحدة ويجوز للمرء أن يسميها نصا موجزاً مكثفاً لتفاصيل كثيرة، ويمكن لمن لديه حساب في موقع تويتر أن يتبادل مع أصدقائه تلك التغريدات (التويتات) من خلال ظهورها على صفحاتهم الشخصية أو في حالة دخولهم على صفحة المستخدم صاحب الرسالة، وتتيح شبكة تويتر خدمة التدوين المصغرة هذه إمكانيات الردود والتحديثات عبر البريد الالكتروني"(الدليمي، د.ت، ص194).

4.1 مفهوم النسق الثقافي:

يعدّ النسق الثقافي من بين المصطلحات الجديدة الرائجة في الساحة النقدية الحديثة والمعاصر، وهو ركيزة أساسية للدراسات الثقافية في تحليل الخطابات وتقويض المألوف، فمن خلاله يمكننا الكشف عما تخفيه الألفاظ الجمالية خلف عباءتها البلاغية، ويُعرف النسق في اللغة على أنه ما كان على نظام واحد في كل شيء؛ أي أنه نظام الأشياء وتتابعها وتتاليها في نظام واحد، أما في الاصطلاح فقد تعددت المفاهيم ومن بينها نجد نعمان بوقرة الذي عرفه في قوله: "هو

ما يتولد عن تدرج الجزئيات في سياق ما، أو ما يتولد عن حركة العلاقات بين العناصر المكونة للبنية، إلا أن لهذه الحركة نظاما معينا يمكن ملاحظته وكشفه..." ؛ (بوقرة، 2009، ص140) فالنسق عنده عبارة عن نظام بنيوي يتشابه ويتوافق فيه النسق والبنية في عملية ترتيب وتتابع الأجزاء الصغرى للكلمات، بإضافة إلى العلاقات بين العناصر التي تتكون منها البنية في طريقة خضوعها لنظام ما.

فالنسق هو ذلك الخطاب الذي يحمل في ثناياه أفكار يسعى لترسيخها في ذهنية المتلقي والتأثير في ثقافته وهذا ما عبر عنه الغذامي بقوله: "هو كل دلالة نسقية مختبئة تحت غطاء الجمالي ومتوسلة بهذا الغطاء لتغرس ما هو غير جمالي في الثقافة." (الغذامي، 2004، ص33).

3- الأنساق الثقافية في الأمثال الشعبية المنشورة على منصة تويتر:

1.3 النسق الذكوري:

يُعد نسق الذكورة من بين أهم الأنساق الثقافية حضورا في الخطابات غير الأدبية، إذْ أنه أضحى قصدا من مقاصدها، وموضوعاً من الموضوعات التي تتناولها باهتمام، كون هذا النسق أصبح جزءا لا يتجزأ من البنية الذهنية التي خلفتها الرواسب الثقافية والاجتماعية، وفي هذا الصدد نجد عبد الله الغذامي يقول" نسق منغرس في الوجدان الثقافي، مما ربّى صورة الطاغية الأوحد (فحل الفحول)." (الغذامي، 2001، ص44)؛ فأكبر أوجه الفحولة في واقعنا العربي ولاسيما التراثي منه يظهر جليا في هيمنة الرجل على المرأة.

ولقد ارتبط النسق الذكوري ارتباطا وثيقا بالموروث الشعبي أكثر من غيره؛ ولعل وهذا الأمر راجع إلى طبيعة التفكير العربي عامة والجزائري بصفة خاصة، فقد استطاعت البيئة أن تترك بصمتها على المخيلة الذهنية بكل ما تحمله من معاني القسوة والخشونة، الفحولة والصلابة، مسيطرة بذلك على تفكير الإنسان فجعلته حبيس النمط التقليدي.

عززت فكرة "الذكورة" في الإنسان صفات ومبادئ كثيرة منها ما يتجاوز بها المعقول السليم كالكبرياء الواهم الذي يستخدمه لتزييف الآخرين أو السيطرة على الأشخاص بأي شكل من الأشكال فهو كما يرى الغذامي "...يبدأ الفحل باكتساب صفاته عبر خلق سمات خاصة به حيث يحتكر لنفسه حق وصف الذات... وهو الوصف الذي اصطنع السمات النسقية للشخصية الثقافية النموذجية"؛ (الغذامي، 2001، ص125). فالنسق الذكوري مستقر ومتأصل في فكر الرجل ويتجلى من خلال طغيانه وتسلطه على الأنثى.

ومن أمثلة هذه الايديولوجية الطاغية المتسربة إلى خطاباتنا والتي تمثلتها الأمثال الشعبية المنشورة على التويتر نجد: تكريس دونية المرأة والتي تعد هذه الأخيرة، كائن اجتماعي مقصى من الفضاء العام، وكذا من مجالات السلطة فقد اعتبرت "... أحد هوامش المجتمع في ثقافة ذكورية

تنظر للمرأة نظرة نمطية باعتبارها ما خلقت إلا من أجل راحة الذكر"؛ (هويدا، 2015، ص150) فالدور المركزي للرجل في المجتمع هيأ له مجالا واسعا لممارسة سلطته الكاملة على المرأة التي تعدّ الفضاء الوحيد الذي يمكن أن تتجلىّ فيه هذه السلطة، كما أن المرأة تلعب أدوارا متعددة في هذا الفضاء، ومن بين كل أدوارها (بنت– زوجة-أم) فلقد حظيت بنصيب وافر من الأمثال الشعبية التي تمجدها تارة وتحتقرها تارة أخرى لكن الأخيرة تحظى بنصيب الأسد في معظم الأمثال وتكشف بحق عن طريقة التفكير ونظرته الذكورية لها وطريقة تعامله معها وهذا ما سنبينه:

أ- المرأة (الزوجة):

تراوحت الأمثال التي وردت في الزوجة بين التطيّر تارة والاستغلال تارة أخرى فهي تعد مصدرا للسعد أو النحس بعد زواجها وما يترتب عن ذلك من تغيّر في الحياة الاجتماعيّة والمالية الخاصة ببيّت زوجها سواء كان التغيير سلبي أو إيجابي.

وهذا الجزء اليسير من الأمثال الشعبيّة الّتي باتت راسخة في أذهان البعض ويقومون بنشرها في صفحاتهم عبر منصات التواصل عامة ومنصة تويتر (x) خاصة كأنها حكم قطعي على المرأة والتي في مجملها تكشف لنا أنساق مضمرة تعبر عن مدى تقزيم المرأة واحتقارها وتكريس النظرة الدونية لها، إذْ أنهم اعتبروها كائنا ناقصا عقلا ودينا عاجز عن اعْمال ذهنه وفكره، لا يجب الإصغاء له لأن في ذلك هلاك وانتقاص من قيمة الرجل، فالثقافة الشعبية الجزائرية رسخت كل ما من شأنه أن يقلل من قيمة المرأة وعززت الصورة النمطية للمرأة "فالرجل ينظر للمرأة نظرة دونية ويعتبرها تابعة له ولا يمكن للتابع أن يكون أفضل من المتبوع في جميع المجالات الفعلية والقولية...فالانا المتعالية الذكورية لا تجعل من هذا الرجل يعمل برأي زوجته وإن كان رأيها سديد...لأنه يخشى على سلطته وهيمنته"؛ (مناصرية، 2020) فالرجل الجزائري بصفة عامة يمتلك قدرا كبيرا من السيطرة في شخصيته متأثرا بعادات وتقاليد الأولين، فنجده مزال محتفظا بهذه الذاكرة الشعبية

متخذا منها وسيلة لممارسة ذكوريته على الكائن الضعيف مخفيا هوسه الذكوري بقوله: ناس بكري كانوا ...ناس بكري قالو...

فالرجل الجزائري مزال فكره منحصرا في قوقعة تقليدية أين كان يضع المرأة في الدرك الأسفل، يرى أن المرأة (الزوجة) ماهي إلا آلة للإنجاب ووسيلة للتكاثر وعليها تلبية رغباته وإن لم تفعل تتعرض لشتى أنواع العنف (اللفظي، الجسدي)، وهذا ما نشاهده في مجتمعاتنا حاليا إذ أنها تتعرض للتعنيف من قبل الرجل ولا تتمتع بكامل حريتها وحقوقها، فهو يسلبها ارادتها، وليس هذا فقط فالرجل الجزائري يعتبر المرأة كقطعة أثاث في منزله يبتاعها أو يتلفها وقت ما يشاء (الطلاق)، إذ يستندون على مقولة الرجال قوامون على النساء وما على المرأة سوى طاعة الرجل وعدم مخالفته وإلا تتعرض إلى الضرب والشتم.

وعلى الرّغم من التطورات الحاصلة في المجتمعات العربية عامة والجزائريّة بصفة خاصة إلاّ أنّ هذا التحضر والتطور المزعوم لا يتعدى ظاهره، فهي ماتزال ترى بأن على المرأة أن تكون خلف الرجل وتابعة له، مستخدمين بذلك العديد من الحجج والذرائع كالادعاء بالخوف عليها أو تمسكهم بالعادات والتقاليد، كل هذا يقف حاجزا أمام تقدم المرأة وتطورها؛ إذ أنه يقيدها ويجعلها خاضعة للرجل وتحت سيطرته.

فمن خلال هذه المنشورات الموجودة على منصة تويتر ندرك بأن الفحل الجزائري يعامل المرأة(الزوجة) معاملة القاصر والمعتوه الذي لا يستطيع اتخاذ القرارات الصائبة، فدائما ما ينصّبون لها ولي أمر وصيّ عليها سواء أكان أباها أو أخاها أو زوجها، فالرجولة في بلدنا تقاس بدور الوصاية ومدى السّيطرة والتّحكم في المرأة. فالثّقافة الشّعبية للمجتمع الجزائري كرّست لدى الرّجل فكرة تفوقه على المرأة في كافة الميادين.

فالأمثال هنا تفرض نوعا من الثقافة الفحوليّة التي تعود إلى جذور تاريخية وتراكمات من الزّمن الماضي خاصة تلك المستمدة من هيمنة الذهنية الدينية والذكورية للمجتمع؛ إذ نجدها تحمل في طياتها أنساقا تعبّر عن البطش والظلم والسيطرة والتمركز حول الذات من خلال إقصاء واهمال الطرف الآخر بل واحتقاره وتقزيمه، فعلى الرغم من تحذير ديننا الإسلامي من ظلم المرأة وبطشها إلا أننا نرى الفحل الجزائري يضرب بكل هذه الوصايا والتحذيرات عرض الحائط، ويأخذ من الدين ما يناسب ويدعم ويعزز سلطته على الكائن الضعيف(المرأة الزوجة) متناسيا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصى بالنساء خيرا، فالنسق الجاهلي مازال يفعل فعله في الفحل الجزائري.

وما لا يمكننا انكاره أن المرأة الجزائرية تعرضت قديما ومازالت تتعرض إلى يومنا هذا إلى الظلم والاستبداد، لما فرض عليها من عادات وأعراف وقيم ذكورية بالية بعيدة كل البعد عما ينص عليه ديننا الحنيف والرقي الحضاري.

ب- المرأة (الأم):

لطالما ارتبطت المرأة ارتباطا وثيقا في مجتمعاتنا العربية عامة والجزائرية بصفة خاصة بدورها كالزوجة والأم، حيث في مجتمعاتنا الذكورية تربّي المرأة منذ نعومة أظافرها على اتقان فن الطبخ والأشغال المنزلية وليس هذا فقط وإنما تقوم المنظومة الثقافية ببرمجة المرأة على انتظار منقذها من العنوسة ومخلصها من نظرة المجتمع تحت ما يسمى بالقيم، فسرعان ما تحاول الأسرة البحث عن الفحل المنقذ وأكثر من ذلك تهيئها لتكون حاضنة لنزوات الرجل ورغباته ثم يتحول بها الأمر لتصبح أما ذات أطفال كأنها خلقت لإنتاج الأطفال واشباع الحاجيات لا تعيش كإنسانة تمتلك مفاتيح الاختيار. فالإنجاب والأمومة ماهي إلا اقرار من المركز الذكوري بالاستقرار والاندماج، فالاندماج في الحياة الاجتماعية مرتبط بقدرتها على الإنجاب، هذا الأمر الذي يعدّ ظلم واجحاف في حق المرأة فمن "قصر النظر تقويم المرأة بالإنجاب وحده، لأن هذا يُشركها بإناث الحيوان...فالمرأة تُعرف بقيمتها الخاصة المنفصلة عن العقم والخصب" (البردوني، 1998، ص462) ؛فالمرأة في ذهنية النسق الذكوري ماهي إلا وسيلة بيولوجية للإنجاب لكي يحفظ الرجل نسله ويخلد اسمه.

فالإنجاب في الثقافة الشعبية له أهمية كبيرة وهذا راجع للنسق السائد الذي يعتبر الإنجاب مهمة رئيسة ومطلوبة من المرأة، ويعتمد النسق فيها على نقطة ضعف المرأة وغريزة الأمومة، بحيث تلتقي أغراض هذه الأمثال ورغبة المرأة في الإنجاب؛ فمن خلال انجابها تثبت ذاتها ووجودها وأنوثتها. غير أنّ النسق المضاد أيضا هو حصر دورها في الإنجاب فقط، إذْ أنها لا تستطيع البقاء في بيت زوجها إلاّ بإنجابها، ومع تجاهل أنّ رغبة الرّجل في الإنجاب أقوى من رغبة المرأة؛ لأن الإنجاب – على المستوى النفسي والاجتماعي – يقع موقع الوجود والاستمرار، وإثبات للرّجولة أمام نفسه أولا، وأمام زوجته ومجتمعه، ولذلك إذْ لم يتحقق الإنجاب من زوجته نجد الرّجل يلقي بكل

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

إخفاقاته على المرأة حتى ولولم تكن السبب في ذلك فيلجأ للعنف كأول شيء ثم التهديد بالزواج من الثانية.

ج- المرأة (البنت):

تحمل هذه الأمثال جملة من الأنساق المتوغلة منذ القدم ومشحونة بشحنات نسقيّة فحوليّة، الّتي تنتقص من قيمة المرأة(البنت) وتضعها موضع الرذيلة والعار، وتعتبرها بمثابة القنبلة الموقوتة القابلة للانفجار في أي لحظة، لذلك وجب الحذر منها وحراستها أو التخلص منها بأي طريقة كانت كتزويجها قصرا، وعليه فإن المنظومة الثقافية(المجتمع الذكوري) قد بنت قلاعا وحصونا منيعة وخانقة لحرية الأنثى؛ إذْ تم فرض قيود وقواعد متينة عليها رهبة من العار وخوفا من الفضيحة، وهذه النظرة ليست سوى انعكاس للتصور السلبي والصورة النمطيّة الّتي يحملها المجتمع.

فالمنظومة الثقافية الفحوليّة مارست مختلف أشكال السلطة والهيمنة على مختلف العلاقات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية؛ إذ نجدها هي الآمر والناهي في العلاقات الأسرية على أساس ذكوري أين يُحكم الذكر(الفحل) قبضته على الأنثى، حيث يتسلط الأب على الأم والأخ الذكر على البنت حتى ولو كانت أكبر سنا منه، وهذا راجع للعوامل والرواسب المتصلة بالقيم الذكورية. فمن خلال هذه الأمثال ندرك بأنّ النسق الجاهلي هنا مزال ساري المفعول، فالبنات في نظر المنظومة الثقافية الجزائرية لا يجلبن سوى العار والقلق والمتاعب.

2.3 نسق تفضيل الذكورعن الإناث في الإنجاب:

رغم جمال عبارة هذا المثل إلاّ أننا نجد أنه تخفي أنساق ثقافية فحوليّة تمجد السلّطة الذكوريّة في الجملة الثقافية، فظاهرها جميل لكن معناها يُرسخ ويكرس النظرة الدونية للأنثى الّتي استقرت في اللاّوعي الجمعي لدى الجماعة، والّتي أصبحت بدورها تأثر على حاضرنا، بل نجدها

تحظى بمكانة هامة ومرموقة في تفكيرنا وسلوكنا بوعي منا أو بدون وعي. فهذه الأنساق دفعت بالمرأة إلى التفكير والسعي دائما وبكل الطرق لإنجاب الذكر، فإن كانت لا تستطيع أن تثبت وجودها برأيها وعقلها وتفكيرها المهمش والمسلوب، فإن طريقتها الوحيدة بعد الزواج هي اثبات لذاتها من خلال انجاب الفحل (ذكر). والمؤسف جدا على الرغم من مرور الزّمن وتطور المجتمعات إلاّ أن هذا الشعور مازال قائم ليومنا هذا، وهذه الأمثال ما تزال تستحضره بطريقة أو بأخرى، الأمر الذي يوضح لنا مدى قدرة هذا النسق على التغلغل إلى بواطن الذهنيات والتحكم فيها وفي ردود أفعال المنظومة الثقافية.

فالمرأة في نظر المنظومة الثقافيّة لا تمتلك قيمة أو حضور فاعل إلا من خلال الانجاب والتربية ورعاية الزوج، وهذا الأخير لا يعد مكسبا بقدر ما هو سلاح ذو حدين حيث يمكن أن يشكل انجابها تهديد لها إذا كانت بنت أم إذا كان ذكر فهو خلاصها حبل نجاتها، فالمولود الذكر يحظى بقبول وترحيب اجتماعي، وهذا الأمر يعد إجحاف وتمييز بين الجنسيين، فبالرغم من تطور العالم وتقدمه إلا أننا مازلنا نرى الذهنيات المتعصبة، فالأنساق الثقافية تعمل دون شعور المرأة في حد ذاتها التي تستحضرها من حين إلى آخر، كونها عاجزة عن التحرر من قيود النسق الذكوري، فهذه الأيديولوجية مترسخة في ذهن الرّجل منذ القديم، أي من عهد الجاهلية أين كانوا يئدون البنات وهن على قيد الحياة لذلك فنحن نرى "اتفاقا بين سلطات المجتمع ومؤسساته المختلفة على إقصاء المرأة وتنميط الصورة المرسومة لها، ولعلّ أقسى صورها عملية(الوأد) الجاهلية التي كانت تتم على يد الآباء أنفسهم وقتلهن وهن مازلن رضيعات"(الخليل وحطاب، 2018، ص16).

3.3 نسق الجسد:

نجد العديد من الأمثال الشعبيّة الّتي تحمل نسق الجسد وهذا الأخير الّذي أخذ حيزا كبيرا في وصف المرأة، حيث أنّ "الوهم الثقافي المهيمن الّذي جعل الأنوثة مادة مصنوعة من أجل الآخر... هي له شيطان تارة وريحانة تارة أخرى... فهو يراها لتتمتع عينيه وليتنزه ناظره فيها، وعجز الجسد المؤنث في صفحة اليأس وسن اليأس، وما إن يحضره جسد مؤنث في مجال البصر الثقافي حتى تبدأ عيون الثقافة في نخل هذا الجسد وقراءاته، إما بوصفه ريحانة تشد وتثير الحواس، فإن لم يكن كذلك فهو شيطان"(الغذامي، 1998، ص75).

فالنسق الذكوري هنا يكرس النظرة الجسدية للمرأة حتى وإن غابت المعايير الجمالية، وهذه النظرة الجائرة لن تتغير ما دامت هنالك هيمنة ثقافية ذكورية، فعلى سبيل المثال الرجل عندما يقبل على اختيار الزوجة يختار ذات الجسم الممتلئ، فمعيار الجمال في نظرته القاصرة الرجعية هي المرأة المتميزة بهذه الصفة فهي أقدر وأجدر بقيام أعمال البيت من تنظيف وطهي عكس المرأة النحيفة، فالمرأة على حسب الرجل لا تكتسب قيمتها إلا من خلال جمالها وجمال جسدها. وهذه الأمثال لم تقدّم للمرأة سوى صورة نمطية رسمتها لها، فقد صورتها على أنها وعاء للجنس، جسدها هو كل ما يشغل تفكير الرّجل الفحل.

فالمثلين حملا أنساقا دفينة غُرست من قبل الثقافة الفحوليّة الّتي لا ترى المرأة خارج نطاق جسدها (شكل القوام الجسدي، لون العيون، شكل الخصر، الشفاه المكتنزة، جمالها....)، فهذا النسق مازال ساري المفعول؛ إذْ لا يزال جسد المرأة يروج له كأنها سلعة معروضة وخير دليل على ذلك ما تقدمه مختلف الإشهارات الّتي تتداولها القنوات التليفزيونية، حيث نرى حضور المرأة بشكل طاغي، حتى ولو كان الموضوع لا يمد بصله للمرأة أو احدى جوانبها. فعلى الرغم من التطور الحضاري والمجتمعي الّذي نشهده في عصرنا الحالي هذا إلاّ أننا مازلنا نرى نفس النظرة الذكوريّة في مجتمعنا، بل استفحلت وتطورت مع تطور الوسائل، فلا يمكن أنّ تتغير هذه الصورة الّتي رسمت من قبل المنظومة الثقافيّة.

4.3 نسق التفاخر:

كثيرا ما نجد العديد من الأمثال الشعبية التي تضم مسألة التفاخر بالحسب والأصل والنسب "فهي تحمل في طياتها شحنة ثقافية عالية الكثافة...وقد منحت هذه الكلمات دلالات مزدوجة وأول هذه المنح هي ما آلت إليه دلالات كلمة(حسب) حيث تنامت المعاني من مجرد العد والتقدير من عد الرمل وحسب الحصى ومن حساب المال إلى المعاني المجد الملتقي حتى صار الحسب هو ما يحسبه المرء من مفاخر آباءه وأجداد" فهذه الأخير تعد بمثابة المعيار الذي بموجبه يملكون أحقية السيادة وتبعية غيرهم لهم، مما يستوجب التفاخر والتعالي عليهم لكونهم أقل أهمية منهم ونسبهم هامشي لا قيمة له.

والملاحظ أنّ هذه الأمثال تمثل جملة من الطرح الثقافي الإيديولوجي المكون للنسق الاجتماعي، الذي يكرّس فيها تضخيم الذات والتفاخر بالنسب وإلغاء الآخر، وهذه الأخيرة تغرسها المنظومة الثقافيّة في شخصياتنا، فالأمثال الشعبية المذكورة تمثل النسيج الاجتماعي في الجزائر الذي ينقسم هذا الأخير إلى طبقات وفوارق، مما أدى إلى التفاخر والتعالي بالأنساب والأصل والحسب، فقد كثرت الأمثال التي تقال للتفاخر على الناس واحتقار وذم من هم أقل شأن. والملاحظ من خلال هذه الامثال ظهور ظاهرة العصبية القبلية التي عززت أنانية الذات واستبدادها مقابل انكار وإقصاء الطرف الأخر المختلف.

5.3 نسق القوة والترهيب:

وهو ما تتعامل به السلطات السّياسيّة التي لا تريد ترك مكانها لبديل آخر، إذْ تسعى هذه الأخيرة إلى ترسيخ نسق الهيمنة والسّيطرة، فتحاول تثبيت موقعها في ذهنية المنظومة الثقافيّة باستعمال القوة، وهو ما تطبقه حكومتنا السابقة والجديدة الّتي لجأت للعديد من الآليات والأساليب ولعلّ من أبرزها الترهيب وهذا ما نراه في الأمثال الشعبية التالية:

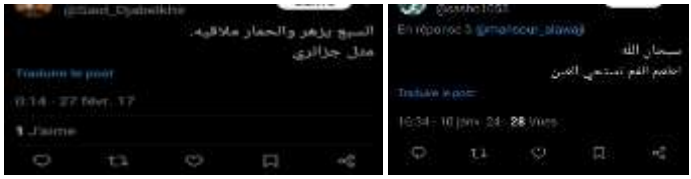

فالمثل هنا يعمل على احراج كل من يحاول التطاول على السلطة وانتقادها، لينسى بعد ذلك كيفية التعبير عن حقوقه ومطالبه، كون فمه مشغول بأكل الهبات والعطايا أو التكلم عنها، فالإغراء بالمال يعدّ أهم وأنجع الوسائل التي تعزز نسق القوة، فهو كفيل بتغيير المبادئ والقناعات، فمن خلاله تستطيع ضمان الخضوع التام والسكوت. وفي حال عدم نجاح نسق السلطة يتجهون لسياسة بديلة، تتخذها السلطة تجاه من لم ينفع معهم الترغيب فتلجأ إلى ممارسة العنف والضرب.

فالأمثال الشعبيّة الجزائريّة تساهم بشكل كبير في ترسيخ ثقافة الاستبداد وتسويغ الظلم وانتاج منظومة ثقافيّة خانعة خاضعة تناقض البناء القيمي والفطرة السليمة للإنسان.

6.3 النسق الاجتماعي:

يمكن القول أنّ المثل عبارة عن انتقاد موجه لعدة مظاهر في المجتمع الجزائري الّذي انسلخ من هويّته ودينه وانصهر في الآخر متبعا نهج الثقافة الغربيّة متأثر بها في جميع جوانب حياته اليومية

كما نرى اليوم استفحال ظاهرة الانحلال الخلقي والتأثر بلباس الغرب، فالمثل ينتقد الزمن الذي نعيشه اليوم، وقد عدد صور العيب ومنها الانجراف وعدم استنكار السوء والفساد، وقد ذكر أيضا العديد من العيوب المتمثلة في أن الناس اصبحوا يملكون نظرة مادية لا تولي أي أهمية للمرء إلا بمعيار وقيمة الدينار، والمثل حمل معاني ضمنية تؤكد أن الفقر ليس عيبا، وعاد بنا في الأخير إلى مشكلة الصداقة فالكثير من الأشخاص يدعون أنهم يملكون أصدقاء لكن بمجرد وقوعهم في المحن والمشاكل لا يجدون أي ممن كان يدعي صداقتهم.

4- خاتمة عامة

وفي ختام ورقتنا البحثية هذه يمكن إجمال أهم النتائج الّتي توصلنا إليها بعد دراستنا للأنساق الثقافية للأمثال الشعبيّة الجزائريّة المنشورة على منصة التويتر فيما يلي:

- ✓ أن الأمثال الشعبية المنشورة على منصة التويترx بالرغم من قيمتها البلاغية إلا أنها تستر تحت عباءة الجمالية أنساقا ثقافية مضمرة دون أن نشعر بها.
- ✓ تكاد تشترك جميع الأنساق الثقافية المضمرة في الأمثال الشعبية الجزائرية المنشورة على مواقع التواصل الاجتماعي – التويترx- على أنها تهدف إلى السيطرة والتحكم في العقول المتابعة لها.
- ✓ يعد النقد الثقافي من أهم الآليات المنهجية التي تستهدف هذا النوع من الخطابات وتكشف عن النسق المضمر فيها.
- ✓ يكشف لنا خطاب الأمثال الشعبيّة عن مدى تجذر الأنساق الذكوريّة في اللاّوعي الجمعيّ وقدرتها على توجيه المنظومة الثقافيّة والتحكم فيها.
- ✓ استطاعت الثقافة من خلال الأنساق الفحوليّة أنّ تنقل لنا الصورة النمطية للمرأة، والّتي وضعتها موضع الجسد والوعاء الجنسي من خلال تجريدها من جميع الصفات الإنسانيّة كتغيّب عقلها ومشاعرها وربطها بالفضيحة والعار.
- ✓ تضمنت الأمثال الشعبيّة الجزائرية أنساقا ثقافيّة ذكوريّة فحوليّة مضمرة، تجلت في تفضيل الذكر ونبذ الأنثى باعتبارها كائن غير مرغوب به.
- ✓ ارتبطت الأمثال الشعبيّة ارتباطا وثيقا بالأمة الجزائرية حتى أصبحت جزءا منها تحيل إلى فكرها وثقافتها وهويتها، للتحول بذلك إلى نسق ثقافي يعكس طبيعة تفكير المجتمع الجزائري وعلله.

- ✓ على الرغم من تطور المجتمعات وتغير الوسائل إلاّ أننا لم نتخلص من الذهنية الذكوريّة، الّتي تحاول وبشتى الطرق نشر واستمرار هذه الثقافة الذكوريّة، فلا يمكن أنّ تتغير تلك الأطر الجائرة منذ كينونة المرأة.
- ✓ لا يخفى على أحد الدور السلبي الذي تلعبه وسائل التواصل بما في ذلك منصة التويتر في نشر الصورة النمطية للمرأة.
- ✓ ساهم تنوع الأمثال الشعبيّة الجزائريّة وثرائها في الكشف عن ثقافة المجتمع الجزائري.

**

5- المصادر والمراجع

- ابن منظور .لسان العرب .بيروت: دار صادر.
- أمين، أحمد .قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية .مكتبة النهضة المصرية.
- البردوني، عبد الله .(1998).فنون الأدب الشعبي في اليمن .بيروت: دار البارودي.
- بوقرة، نعمان .(2009).المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب .عمان: جدار للكتاب العالمي.
- الخليل، سمير وحطاب، طانية .(2018).دراسات ثقافية: الجسد الأنثوي-الآخر- السرد الثقافي . الشارقة/بغداد: دار ضفاف للنشر.
- الدليمي، عبد الرزاق .الاعلام الجديد والصحافة الالكترونية .وائل للنشر والتوزيع.
- السيوطي، جلال الدين .المزهر في علوم اللغة وأنواعها .بيروت: دار الجبل.
- شعلان، إبراهيم أحمد .(1972).الشعب المصري في أمثاله العامية .القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الغذامي، عبد الله .(1998).المرأة واللغة: ثقافة الوهم مقاربات حول المرأة والجسد واللغة .الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- الغذامي، عبد الله .(2001).النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية .الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- مناصرية، فريد .(2020).النقد الثقافي وسؤال النسق: مفاهيم وتطبيقات .المثقف الجزائري.
- الهوش، أبو بكر محمود .(2000).التقنية الحديثة في المعلومات والمكتبات نحو استراتيجية عربية لمستقبل مجتمع المعلومات .القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.
- هويدا، صالح .(2015).الهامش الاجتماعي في الأدب: قراءة سوسيوثقافية .القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.